السنة الثالثة / العدد 58 / 03 نيسان 2017

sayı 58

الحرمل

Her Daim Özgürlük

الحريـــة دائمـــاً

WWW.ALHARMAL.COM

Alharmal Dergisi

مجلة الحرمل / ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة.

تغريبة الرقاويين..!

ساعات شؤم في حياة السوريين..!

تزامناً مع المجازر الوحشية التي ترتكبها قوات التحالف الدولي في الموصل والرقة بحق المدنيين العزل، ووسط تخبط سياسة الإدارة الأمريكية الجديدة في معالجة قضايا الإرهاب والحريات والديمقراطية، وبروز موقف أمريكي جديد حيال مسألة تنحية الأسد، وإنهاء أي دور سياسي له في المرحلة المقبلة، يؤكد بما لا يدعو للشك أن أمريكا لم يكن من أولوياتها الشعب السوري وثورته، وهي وضعت نصب عينيها أولوية محاربة الإرهاب، الذي قامت بالإشراف على تصنيعه وتصديره إلى المنطقة، طبعاً لا يدخل النظام المجرم في خانة الإرهاب، الذي دأب خلال ست سنوات على قتل شعبه وتدمير بلده ومقدراته في حرب أرادها أن تكون بمواجهة أهله، الذين خرجوا من أجل حريتهم وكرامتهم، ومن الضروري أن يكون حليفاً ضرورياً في النادي الدولي الجديد المناهض للإرهاب.

الموقف الأمريكي الجديد يعكس حقيقة الغرب وموقفهم السلبي تجاه مبادئ الحرية والديمقراطية لشعوب منطقتنا، وتعاطيهم مع أزمات المنطقة دون أن يراعوا القوانين التي ساهموا في صياغتها للعالم، فهم من سنوا قوانين حقوق الإنسان، وهم الذين ينتهكوها بشكل يومي، فأعداد الضحايا بتزايد، ولا حسيب ولا رقيب، ويكفي أن نذكر أنه في أسبوع واحد تم قتل أكثر من خمسة آلاف مدني في الموصل، وأكثر من ألف مدني في الرقة.

الموقف الأمريكي الجديد جاء مكملاً للموقف الأمريكي السابق، إنما بتغيير الحالة الوصفية من السياسة المترددة إلى السياسة المتخبطة، وهي في الحالتين تعكس حالة من الارتباك السياسي في التعاطي مع أوضاع المنطقة، لكنه ارتباك مدروس ومنظم، يخدم أولاً وتالياً مصالح الدول الكبرى وأمنها القومي، وتأتي مصلحة إسرائيل في مقدمتها، ويدخل في سياقها بند إعادة الإعمار، وتجارة الأسلحة، وفي ثناياها تندرج بنود تجارة المخدرات والدواء والأعضاء البشرية والرقيق الأبيض وغيره، وبالمحصلة يكون المستفيد الأول هو من يدير خيوط اللعبة ويشرف على أدوار اللاعبين الأساسيين والفرعيين وغيرهم.

ويبدو أن الأمر لم يتوقف في حدود البيت الأبيض وأروقة الخارجية الأمريكية، لتنتقل العدوى إلى وزير الخارجية الفرنسية الذي أطلق بدوره تصريحاً، يغازل فيه الموقف الأمريكي حيال تنحية الأسد، إذ دعا صراحة إلى عدم التركيز فقط على مصير الأسد للتوصل إلى اتفاق سلام في سوريا.

مواقف أصدقاء الشعب السوري بدأت تظهر ملامح وجهها الحقيقي الملتبس، فليس ببعيد موقف دولة الإمارات العربية المتحدة السلبي تجاه الشعب السوري، وأكمله في صورة ناشزة أمير دولة الكويت عندما قال: «لقد أطاح وهم ما يسمى الربيع العربي بأمن واستقرار أشقاء لنا، وعطل التنمية والبناء لديهم، وامتد بتداعياته السلبية ليشمل أجزاء عدة من وطننا العربي، لتتدهور الأوضاع الأمنية فيها، وليعيش شعبها معاناة مريرة، وتتضاعف معها جراح أمتنا». دون أن يشير إلى ظاهرة الظلم والاستبداد التي تعيشها المنطقة، وليكتفي في النهاية بمتابعة كلمة أمير قطر وهو يغط في نوم عميق.

وسط هذه المعمعة الكبرى ما زال أعضاء وفد النظام المفاوض في جنيف يصف المفاوضين من جانب أركان المعارضة السورية بالإرهابيين والخونة، وما زال نصر الحريري الرئيس المفاوض ينفخ في قربة مقطوعة، ويعوّل على مجتمع دولي خذل السوريين، وشارك في قتلهم وتهجيرهم منذ بداية ثورتهم إلى ساعة جنيف الخامس الأخيرة.

مدير التحرير: يوسف دعيس

نحو ألف شهيد في الرقة جرّاء مجازر وحشية يرتكبها طيران التحالف الدولي

الحرمل ـ خاص

شهدت الأيام الماضية ارتكاب العديد من المجازر بحق أهلنا من المدنيين العزل في محافظة الرقة، أشدها وقعاً مجزرة مدرسة البادية في بلدة المنصورة، غرب مدينة الرقة بنحو 30كم، حيث تضاربت أرقام أعداد الشهداء، التي تناقلها الناشطون، وأكد معظمها أن عدد الشهداء تجاوز مئتي شهيد، ومدرسة البادية تم تخصيصها لإيواء النازحين من ريف حلب الشرقي، وتضم أكثر من خمسين عائلة نازحة، فيما تجاوز عدد الشهداء في مجازر مدينة الطبقة 40 شهيداً، وأكثر من 50 مصاباً بجروح معظمهم جراحهم خطيرة جداً، في ظل توارد أنباء عن افتقاد المحافظة لمعالجة الجرحى والمصابين نتيجة قصف المشافي والمستوصفات وتوقف معظمها عن الخدمة، وسط أنباء عن وقوع أكثر من 1000 شهيد من المدنيين خلال الفترة القصيرة المنصرمة، ووفقاً لصموئيل أوكفورد، وهو صحفي استقصائي، أن عدد الضحايا من المدنيين نتيجة الضربات الجوية الأمريكية في تصاعد مخيف منذ تولي الرئيس الأمريكي دونالد ترامب مهام منصبه في البيت الأبيض.

ومن أبرز الأحداث حركة النزوح التي شهدتها مدينة الرقة، ومعظم القرى والبلدات، إثر تسريبات عن تعرض سد الفرات للقصف في اليوم السادس والعشرين من آذار الماضي، وأنباء عن انهيار محتمل للسد، وحالة الهلع والخوف من فيضان نهر الفرات، وإغراق المدن والقرى الواقعة على ضفتي النهر، فيما عادت الحياة في مدينة الرقة إلى طبيعتها بعد يوم واحد، إثر خروج سيارات الحسبة التابعة لتنظيم الدولة «داعش»، التي أذاعت في الناس خبراً يؤكد زوال خطر انهيار سد الفرات.

وشهدت أسواق مدينة الرقة استقراراً ملحوظاً، وكانت أسعار بعض المواد والسلع التموينية بالليرة السورية وللكيلو الواحد على الشكل التالي: السكر 400 ل.س، رز نوع أول 500 ل.س، زيت زيتون 900 ل.س، بندورة 300 ل.س، بطاطا 200 ل.س، كوسا 250 ل.س، ليمون 250 ل.س، فول أخضر 150 ل.س، بصل يابس 150 ل.س، لحم غنم 1700 ل.س، لبن بقر 100 ل.س، لبن غنم 200 ل.س، جبنة بلدية 800 ل.س.

وفي تفاصل أبرز الأحداث، فقد تعرضت مدينة الطبقة في العشرين والواحد والعشرين من شهر آذار الماضي إلى عدد من الغارات الجوية التي نفذها طيران التحالف الدولي الذي تقوده أمريكا في عدد من أحياء المدينة، وهي الحي الثاني، ومشفى ميداني غرب دوار الكنيسة، ومحيط مبنى الإطفائية، ومنطقة المسلخ، ومرآب السوق التجاري، ومنطقة برج الحوض ومحيطه، والمشفى الوطني بالطبقة ومحيطه، والفرن الآلي، وأسفرت عن وقع أكثر من 40 شهيداً وأكثر من 50 جريحاً، فيما نفذ الطيران الحربي التابع لقوات التحالف عدداً من الغارات الجوية على بلدة المنصورة، وأحدث مجازر مروعة، كان حصيلتها أكثر من 200 شهيد من النازحين كانوا في مدرسة البادية، التي تم تخصيصها لإيواء النازحين، كما أودت بحياة العشرات من أهالي المنصورة، وإحدى الغارات أخرجت

قصف التحالف على مدينة الطبقة

طريق الرصافة المنصورة عن الخدمة. وتوالت المجازر في عموم محافظة الرقة، والضحايا معظمهم من المدنيين العزل، تزامناً مع تقدم قوات سوريا الديمقراطية باتجاهات متعددة، فقد نفذت قوات الكوماندوس الأمريكي عملية إنزال في منطقة الكرين، تزامناً مع تقدم قوات محمولة على زوارق مطاطية باتجاه محمية جزيرة عايد، وقطعت هذه القوات طريق حلب، فيما واصلت تقدمها باتجاه مطار الطبقة، حيث سيطرت أولاً على مزرعة العجراوي، ثم مطار الطبقة، وبهذا الخصوص أفادت شبكة أخبار إعلاميون بلا حدود بأنباء تفيد: «أن مدينة الطبقة وريفها الغربي شهدت أحداثاً متسارعة واشتباكات عنيفة بعد عملية إنزال مظلي للقوات الأميركية بغية السيطرة على سد الفرات مدعومة بإسناد المدفعية الأميركية، إضافة إلى الطيران الحربي والمروحي الذي لا يكاد يفارق سماء المدينة تخلل عملية الإنزال المظلي قصفاً جوياً ستهدف منازل مدنيين في مدينة الطبقة تزامنت هذه الأحداث مع نقل عناصر من قوات «قسد» بواسطة زوارق من الشط الغربي إلى الشط الشرقي للبحيرة حيث قاموا بنصب حاجز على أوتوستراد حلب الرقة مقابل «قرية الكرين» وقاموا بأسر ثلاثة عناصر من تنظيم «داعش» كانوا نياماً في منزل بقرية الكرين بعد تنفيذ انزال جوي في المنطقة، وآخر الأنباء المتداولة أنه تمت السيطرة على سد الفرات بحسب وكالات أنباء كردية وناشطين، ولم يتسنَ لنا التأكد من نبأ السيطرة على السد حتى هذه الأثناء». أعقبها محاولة لقوات سوريا الديمقراطية لإطباق الحصار على مدينة الطبقة، من خلال عبور نهر الفرات من جهة قرية الصفصافة، وسط انباء عن تمهيد مدفعي ونيران الطيران الحربي التابع لقوات التحالف، الذي يرتكب مجزرة مجدداً في قرية الصفصافة، ويدمر بيت عبد العزيز البركات الفرج السلامة، ما أدى لاستشهاده وعائلته جميعاً.

أعقب ذلك مجازر عديدة في مدينة الرقة وأطرافها، وبلدة السبخة، وحمرة بلاسم، ومزرعة الأندلس، ومزرعة مضر، ومزرعة تشرين، وقرية الرحيات، ومعمل القرميد، وقرية شعيب الذكر، قرية الرحبي، وأسفرت عن المئات من الشهداء والجرحى. وسط تردد أنباء عن سيطرة قوات سوريا الديمقراطية على ناحية الكرامة، فيما شهدت مدينة الرقة إعدام المواطن سعيد الأحمد في شارع النور، غرب مركز المدينة بتهمة التعامل مع التحالف الدولي، وإعدام المواطن نزار الحسين في مدينة معدان بتهمة تهريب المدنيين إلى خارج مناطق سيطرة داعش، وقطع يد أحد المواطنين في بلدة المنصورة بتهمة السرقة، بالتزامن مع حركة نزوح كبيرة من قرى مدينة الطبقة بسبب الاشتباكات والمعارك بين عناصر تنظيم الدولة وقوات قسد، وفيضان أقنية الري الحكومية.

ما زال أهل الرقة يعيشون تحت نيران القوى المتصارعة على أرضها، ومعظم الضحايا من المدنيين العزل، دون أن يكونوا على قائمة الأولويات، والمحافظة على حياتهم، وتأمين حركة تنقلهم وإيوائهم، وتحييدهم عن النزاعات المسلحة.

تراتيل الفرات..!

«يا سد أرجوك لا تغدر بأهلنا أهلنا أطياب وأنت أدرى بيهم»

عروة المهاوش

كالنار في الهشيم انتشر خبر قصف سد الفرات واحتمالية انهياره، كانت الطامة الكبرى على أهالينا المحاصرين في مدينة الرقة، حين أذاعت سيارات تابعة لحسبة تنظيم الدولة «داعش» في الشوارع تنادي بالناس الخروج من المدينة والتوجه نحو الجبال والريف الشمالي للنجاة بحياتهم من خطر الغرق بمياه السد، لم يكن هذا النداء عادياً بالنسبة لأهل الرقة العارفين بكمية المياه المخزنة خلف السد وما سيحدثه من كوراث في حال انهياره، الناس في ذهول وتخبط. تتنازع الروح في أجسادهم، ويكثر الدعاء مع صراخ الأطفال الذين لا يريدون ترك ألعابهم البسيطة، وألبستهم المحببة إلى أنفسهم، طوفان بشري في شوارع المدينة يتخلله الصراخ والتخبط بين البشر والسيارات، حتى الأرصفة لم تسلم من هذا الطوفان، فهنا امرأة خرجت من بيتها تجر بيديها كومة من اللحم الغض نصفهم دون لباس كامل، تتعثر كل حين وتقع لتعود من جديد، وتجمع قوتها الخائرة من هول المصاب لتقف وتركض للمرة الأولى في شوارع المدينة غير آبهة بخصل شعرها التي ظهرت من تحت حجابها دون النقاب الذي فرضه تنظيم «داعش» ودون خوف من سيارة الحسبة التي قد تعتقلها.

جدي الطاعن في السن والذي لا يقوى على الحركة والنزوح، والهرب من الموت غرقاً نحو الموت جوعاً، صنع بيديه المرتجفتين أطواق نجاة لمن بقي من أحفاده بطريقة قد لا تخطر إلا على بال من فقد الأمل بكل شيء، ولم يعد يهمه سوى نجاة أحفاده الصغار من الموت غرقاً. جمع كل ما في البيت من أدوات بلاستيكية فارغة، وأحكم إغلاقها جيداً وربطها مع بعضها كي تكون قادرة على حمل أجسادهم الغضة، ثم ربطها حول كل منهم متصوراً أن المياه ستحملهم نحو برّ الأمان المجهول المكان أصلاً، لكنه قلب الأجداد الرهيف.

تراجيديا الموت..

وسط هذا الموت الذي يلوح في الأفق كغيمة كبيرة سوداء أرخت بظلالها على المدينة، اختار أحدهم الموت كما يحب، فحمل زوادته من القهوة وعلبة تبغ كاملة، واتجه نحو النهر على عكس الناس الهاربة منه، ها أنا أيها النهر جئتك أضحية لخلاص أهلي، رشف من قهوته وأشعل لفافة التبغ الأولى، وعبّ منها نفساً عميقاً، وزفره في الهواء مشكلاً دائرة كبيرة من الدخان حوله، أدار نظره وجسده نحو الغرب وتسربت نسمات الفرات نحو أحشائه لتمتلئ رئتيه بأوكسجين النهر، تعال أيها الطوفان وأغرقني حباً بمياه الفرات الذي لم يغدر بأهله يوماً.. «يا سد شلون تغدر وأنت جنة.. ما عمر الجنات تغدر باليجيهم، دخيلك وصي سدك لا يغرقنا.. عيالك بدمهم غرقانين لا تاذيهم»، هكذا كان يعاتب النهر الذي طالما وهب الحياة لأهله على الضفاف.

خرج هائماً يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة وهو الرجل المريض قبلاً، غادر المدينة وفي كل خطوة تتسارع نبضات قلبه المتعب، كان بكاؤه صامتاً على مدينته التي أحب وعشق أرضها، وها هو يغادرها للمرة الأولى رغم كل القصف والدمار والموت الذي كان قريباً في كل لحظة صمود داخل أسوار المدينة بعد أن أصبحت سجناً كبيراً لأهاليها، حين ابتعد عن مركز المدينة ولاحت له السهول ببداية ربيعها، أدار وجهه نحو الجنوب قليلاً، وشهق ليتوقف قلبه عن الخفقان ويبقى جسده ملاصقاً لتربة الوطن الذي يحب.

أنا النهر، ولن يكون بَوحي إلا الحب، أنا النهر الحالم بملامسة أقدامكم ضفافي، المتعطش دوماً للمواليا الرقاوية ولأحاديث العشق، للحب وللغدر ولخيانة حبيب وصديق، على ضفافي كنتم تبثون حزنكم وفرحكم وكنت أغني لكم مواويل المحبة، أنا النهر الذي لا يغدر بأهله.

لا.. يا سمو الأمير..؟!

«رسالة مفتوحة إلى أمير الكويت»

بسام البليبل

في كلمة أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح في «مؤتمر الحضيض العربي» المنعقد في المملكة الأردنية في 29 آذار المنصرم، وفي معرض وصفه للحراك الشعبي في خمس دول عربية كبرى، ضد الأنظمة الحاكمة فيها، قال: «إن ما يسمى الربيع العربي وهم أطاح بأمن واستقرار أشقاء لنا...»

لقد كان هذا التوصيف صادماً، وموحياً، بأن ما حدث في هذه الدول العربية لا يعدو كونه عبثاً شعبياً، وفوضى لا طائل منها، الأمر الذي استدعى العديد من ردود الفعل الغاضبة، واستوجب التوقف عنده لاستقصاء أسبابه، ومعانيه، وتوقيته، والمكان الذي قيل فيه.

فإذا كان «سموه» يقصد بأشقائنا، منظومة القادة الذين استهدفتهم هذه الثورات، نستطيع أن نفهم تضامنه مع منظومة الاستبداد، والتخلف، واحتقار الشعوب، المنظومة التي يعتبر نفسه واحداً منها، ونستطيع أن نفهم كثيراً من معوقات الثورات العربية، وعراقيلها.

وإذا كان يقصد بأشقائنا، الشعوب العربية المنتفضة في هذه الدول، كان عليه أن يحترم تضحياتها ونضالها المعمد بالدم، من أجل الحرية والكرامة، وألّا يسمح لنفسه بتسفيه حراكها الذي اعتبرته ثورة على الاستبداد، واحتكار السلطة، ملأت سمع العالم وبصره، وأثارت إعجابه، فيما «سمو الأمير» لا يراه إلا وهماً وعبثاً، لم يحقق سوى الفوضى واضطراب الأمن، فيما يشبه إلقاء اللائمة على الشعوب.

أما أهمية التوقيت، فذلك أنه جاء على خلفية تقهقر هذه الثورات، وعدم تمكنها حتى الآن من تحقيق مقاصدها، بعد ست سنوات من انطلاقها، جرّاء إصرار «الإمبريالية الجديدة» على احتواء ثورات الربيع العربي وإجهاضها، تارة بالعمل على تفكيكها، وسحب المشروعية منها، وأخرى بامتصاصها، وتغذية الثورات المضادة لها، ومن ثم السعي لإعادة إنتاج النظم البائدة بأشكال جديدة وتسويقها، كما هو التوجه اليوم لإعادة تعويم نظام الأسد، فيما يمكن اعتباره رسالة تطمين إلى قادة النظم العربية المتهالكة، بضمان استمرار أنظمتهم، والتغاضي عن الدعوة إلى ضرورة نشر الديمقراطية وتعميقها في بلدانهم، لصالح زعم التمسك بما يوجبه القانون الدولي من ضرورة احترام سيادة الدول، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، وتوجيه الجهد العالمي إلى مواجهة الإرهاب، بحيث تصبح المشاركة فيه تزكية لهذه النظم، وأولوية تجاه شعوبها، ما يعطيها الأمان تجاه هذي الشعوب المحتقنة.

أما المكان، فتأتي أهميته، من الإفصاح عن هكذا موقف، شاجب لثورات الربيع العربي في مؤتمر ترعاه من يفترض أنها جامعة الشعوب العربية، والمنافحة عن حقوقها، لا جامعة الأنظمة العربية، بحيث يمكن فهم هذا التصريح إزاء صمت أصحاب الجلالة والفخامة والسمو، على أنه موقف موحد للحكام العرب، وأن ما حدث في دول الربيع العربي لا يعدو كونه فورات غضب عارم، ولأسباب محلية، عليها أن تتوقف، وأن ترجع إلى بيت الطاعة.

الأمر الذي يدفعنا إلى وضع هذا التصريح برسم الرد عليه من قبل شعب الكويت وبقية الشعوب العربية، ونخبها الثقافية والسياسية.

لا.. يا صاحب السمو..!

لقد استطاعت الأنظمة الحاكمة في أوربا عام 1849 السيطرة على انتفاضة الشعوب الأوروبية التي شملت خمسين بلداً مختلفاً، وقتلت وهجرت الكثير من أبنائها، ولكن آثارها استمرت بما تنعم به أوربا الآن، ولم يقل عنها المؤرخون أنها كانت وهماً، وإنما أطلقوا عليها: «ربيع الشعوب» و«ربيع الأمم».

فإذا كان ثمة من استطاع على مدى ست سنوات أن يحبط وصول ثورات الربيع العربي إلى أهدافها، من خلال إثارة النعرات القومية عند بعض الأقليات، وإثارة النعرات الطائفية والمذهبية عند أخرى، وتوظيف المال السياسي لتمزيق وحدة المعارضة، واختراقها، واستقطابها، والمحافظة على اصطفاف الجيش مع الانظمة، فإن ذلك لا يعني أن الثورات العربية قد انتهت، وإن كان قد «لحقها شيء من الانحناء فإنها لن تنكسر» لأنها وجدت لتستمر.

فإن كنت يا صاحب السمو، ومن يرى رأيك من الحكام العرب، لا ترون في هذه الثورات ربيع الشعوب العربية، فإن الشعوب لا تشك مطلقا بأن عام 2011 كان بداية خريف الأنظمة العربية، الذي ما زال عصفه قائماً ويتمدد.

الرقــة في مهــب الغــزو والفيضــان!

إبراهيم العلوش

كان أهـل الرقـة يؤرخـون سـنواتهم، بالأحـداث الكبـير كسـنة الوجـع، وسـنة القحـط، وسـنة الفيضـة، وسـنة الجربـا، وكانـوا يصـبرون عـلى مـا يلم بهـم مـن سـنوات قاسـية، ويعيدون تأهيـل بيوتهـم ومقدراتهـم البسـيطة التـي تمكنهـم مـن الاسـتمرار في الحيـاة، والاسـتعداد للتحديـات القادمـة.

يـوم الأحـد الكبـير 2017/3/26م كان يومـاً حـوّل الرقـة إلى مدينـة تعيـش يـوم القيامـة قبـل أوانـه، فالخـوف والرعـب وذهـول النـاس مـن نـوع المـوت الجديـد الـذي أعلنـت عنـه سـيارات حسـبة البغـدادي، وهـو أن سـد الفـرات قـد انهـار وعـلى أهـل المدينـة إخلائهـا والفـرار إلى البراري لينجـوا بأنفسـهم وبأطفالهـم مـن المـوت المحتـم!

فـرّ النـاس بثيابهـم مرعوبـين، تاركـين كل مـا تبقـى لهـم مـن مقـدرات بائسـة في ظـل حكـم جـراد البغـدادي الـذي أنهـك الـزرع والـضرع، وحـوّل الحيـاة إلى جحيـم، ولكـن سـيارات الحسـبة التـي كانـت تـزف مصائبهـا بحقـد وتشـف مـن النـاس، سرعـان مـا تراجعـت عـن أخبارهـا، فقـد أرعبهـا إخـلاء المدينـة، وسـهولة تخلي النـاس عنهـم، بعـد أن اسـتجروا كل أنـواع التخريـب عـلى هـذه المدينـة وعـلى أهلهـا.

القـوات الغازيـة هللـت لترحيـل المزيـد مـن أهل الرقـة إلى خارجهـا، اسـتكمالاً لمـا بدأتـه داعـش في تهجيرهـا أبنـاء الرقـة إلى مختلـف المـدن والبلـدان، وتمهيـداً لمخططات الاسـتيطان الإيرانية التـي تنفذهـا بالتنسـيق مـع الأمريـكان ومـع حـزب البـي كي كي ومشـتقاته، في رؤيـة طائفيـة تعمـل بنفـس طويل وبدعـم دولي، فحـزب جبال قنديـل يسـتجر المسـاعدات الإيرانيـة عـبر ممـر في شـمال العـراق، ويخطـط لاسـتجلاب مهاجرين إيرانيـين وأفغـان إلى الجزيـرة السـورية لفتـح ممـرات الهـلال الشـيعي، المكلـف بمحـو الهويـة العربيـة للجزيـرة السـورية، واجتـذاب الهاربـين مـن أكـراد تركيـا وتوطينهـم فيهـا أيضـاً في اتفـاق دولي غـير معلـن لتفكيـك تركيـا وتحويـل المنطقـة إلى مجـال مضطـرب ومصـدر للتخريـب وللفـوضى البنـاءة كـما يـروج الأمريـكان حلفـاء الإيرانيـين في العـراق، وحلفـاء البـي كي كي في سـورية الذيـن يسـتمدون قوتهـم مـن الدعـم الإيـراني ومـن دعـم النظـام لهـم منـذ أيـام تحالـف عبدالله اوجـلان مـع حافـظ الأسـد قبـل إلقـاء القبـض عليـه.

في سـتينيات القـرن المـاضي كان أهـل الرقـة يخرجـون جميعـاً إلى البريـة في مثـل هـذه الأيـام في بدايـة خـروج أغنامهـم مـن الاحتبـاس الشـتوي وبـدء الرعـي الربيعـي الـذي نشـأت فيـه معظـم أغـاني المواليـا، وربطتهـم بمـاضي الرقـة الـذي كان الرعـي والانتجـاع، مـن تقاليـد الرقـة وأهلهـا.

اليـوم أهـل الرقـة فـروا إلى البـراري بـلا مـاء وبـلا غـذاء، وتركـوا مدينتهـم بـين مخالـب داعـش، وسـيول القـوات الغازيـة المسـلحة بالطائـرات وبالخطـط الدوليـة، وبالعمـلاء الذيـن يطوفـون عـلى وجـه المـاء مـع ظهـور أقويـاء جـدد، فقـد كانـوا عمـلاء للبعـث وبايعـوه عـلى النفـاق وكتابـة التقاريـر، وكانـوا عمـلاء لداعـش وتمتعـوا بألقابـه الوهميـة في الإمـارة ورئاسـات مكاتـب العشـائر والوشـاية، والوظائـف الشـكلية والوهميـة، وهاهـم يبحثـون عـن مناصـب جديـدة وألقـاب رنانـة، في اسـتنزاف للرقـة ولأهلهـا وللاجئيهـا الذيـن فـروا إليهـا هاربـين مـن المـوت، وعـبروا الصحـراء إليهـا كواحـة للخـلاص مـن عذاباتهـم التـي أدمنـت عليهـا قـوات النظـام الوحشـية.

تنتقـل الرقـة مـن اغتصـاب إلى آخـر، وخيبـة أمـل كبـيرة تلـف أهلهـا، وتعصـف بمسـتقبلها، فالعشـائر تبحـث عـن ألقـاب وصلاحيـات يقدمهـا الغـزاة وهـم غـير آبهـين بمصـير الرقـة ولا حتـى بمصيرهـم أنفسـهم بعـد اسـتقرار الأرض تحـت أقـدام الغـزاة الجـدد.

دفعـت الرقـة أعـداداً كبـيرة مـن الشـهداء والدمـار والتهجـير، ولـن تذهـب هـذه التضحيـات هـدراً عـلى أيـدي بعـض الناشـطين الذيـن يتسـلون بكيـل التهـم لبعضهـم البعـض، ويوغـرون صدورهـم بالكراهيـة، وبالتغنـي بأمجـاد لم تجلـب إلا التهجـير والخـراب للرقـة حتـى اليـوم. فالرقـة غنيـة بأهلهـا، وبقدرتهـم عـلى تجـاوز الصعـاب، وتـدارك السـنوات العصيبـة منـذ أيـام سـفر برلـك، ومـا سـنة داعـش، وسـنة صالـح مسـلم هـذه، إلا تعبـير عـن مصائـب عابـرة لـن تثنـي عزيمـة الرقيـن عـن مواصلـة إرث أجدادهـم الذيـن تجـاوزوا كل صنـوف السـنين الطويلـة مـن الوجـع والصقيـع والعجـاج والغـزو والاعتقـال.. فهـل لدينـا غـير الأمـل؟!

الحرث في الماء..!

طارق عبد الغفور

يقترب جنيف الخامس من نهايته، ولا تزال تصريحات أعضاء وفد المؤتلفين والناطقين باسمه على ما فيها من تناقضات ظاهرة تصرّ على أن تقدماً قد تحقق فيه. وقد كنت أظن أن التقدم الذي تحقق كان في زحزحة وفد النظام عن مواقفه المتعنتة وقبوله مناقشة «سلّة» هيئة الحكم الانتقالية مما يؤشّر على قرب انتهاء معاناة الشعب السوري الذين هم في جنيف من أجله كما قالوا. إلا أن الظّن قد خاب عندما تبيّن أن التقدم الذي تحقق كان مع ديمستورا الذي انطلت لعبته على المؤتلفين عندما سمح لهم كما سمح لوفد النظام أن يختار كلٌ منهما «السلّة» التي يرغب بالبدء ببحثها معه، فيبحث المؤتلفون مع الأمم المتحدة سلّة الحكم الانتقالي ويغوصون معها في بحث التدابير الأمنية التي تمكّن هيئة الحكم الانتقالية من القيام بواجباتها مع اعتقادنا بأن الامم المتحدة لن تحقق نقلة حين تضع ما تبحثه مع المؤتلفين أمام وفد النظام لأنه يبحث معها سلّة الإرهاب لا سلّة الحكم الانتقالي فهو غير معني بها، وهذا هو تماماً ما قصده السيد صبرة، كبير مفاوضي وفد المؤتلفين عندما قال إن المفاوضات متوقفة عملياً بسبب رفض النظام مناقشة المرحلة الانتقالية، فإذا كان الأمر كذلك فأين هو التقدم المبين؟

ومع جنيف الخامس تنعقد قمةٌ روسية إيرانية ينتج عنها بيان مشترك يؤكد تقارب أهداف موسكو وطهران في سورية، ويعلن دعم الطرفين للنظام السوري الذي يحارب معهما الإرهاب وداعش -وكأنهم يحاربون داعش حقاً- ومع وضوح البيان ومع قناعة السيد نصر الحريري رئيس الوفد المفاوض بأن الروس لا يملكون القدرة على الضغط على النظام -وهم في الحقيقة لا يريدون الضغط عليه- ومع عدم قيامهم بدورهم كضامن، ومع تجاوز حقيقة ما يفعله الطيران الروسي، فلا زال السيد الحريري يأمل بقيام روسيا بضغط أكبر على النظام وحلفائه -وكأنما هنالك ضغط أصغر- للالتزام بوقف إطلاق النار تمهيداً لإحراز تقدم في المفاوضات. ربما يحتفظ السيد الحريري لنفسه بالأسباب التي تغذّي فيه الأمل ولا يريد أن يُطلعنا عليها، إلاّ أن ذلك لا يمكن أن يكون التقدم المبين الذي يتحدثون عنه.

ويُلاحظ في الآونة الأخيرة انخفاض وتيرة احتكاك المؤتلفين بالإدارة الأمريكية من أجل تفعيل تدخلها لحلّ «الأزمة» السورية، ولا يُغيّر في ذلك اجتماعٌ بين السيد الحريري والمبعوث الأمريكي إلى سورية، وقد يكون للفتور الذي يسود العلاقات بين أنقرة وواشنطن علاقة بذلك، وإذا كان الأمر كذلك فماذا بعد إعلان أنقرة انتهاء عملياتها العسكرية في الشمال السوري؟ ولعلّهم أيضاً ينتظرون تبلور موقف جديد تتّخذه إدارة ترامب يُغاير ما كانت عليه مواقف إدارة أوباما السيء الذكر، إلاّ أن ما لا يجب أن يغيب عن أذهان المؤتلفين أن ما يُقدّمه أصدقاؤهم لهم من دعم هو في معظمه بيانات وتصريحات لا تُسمن ولا تُغني بينما يُقدّم أصدقاء النظام له سلاحاً ومالاً ورجالاً، وهو ما ينبغي أخذه بالاعتبار عند بناء الآمال على الضغوط الروسية على النظام.

إذاً فأنتم أيها السادة المؤتلفون تحققون كل هذا التقدم المبين في مفاوضاتكم مع الأمم المتحدة التي أثبتت الأحداث أنه ليس مهماً لديها في قليل أو كثير إن طالت معاناة السوريين، هذا إن لم نقل إنها تحابي النظام على حساب الدماء السورية، والأمم المتحدة ليست طرفاً مقابلاً لكم كي تهللوا لتقدمٍ تحرزونه معها، فهل نغالي إذا قلنا إنكم تحرثون في الماء وإنكم تبيعون الوهم؟ وهل نغالي إذا قلنا إنكم لا تسلكون المسلك الصحيح في مقاربتكم «للأزمة»، وإنكم تنظرون إليها على أنها كذلك -وتلك طامة كبرى- لا على أنها ثورة طالما أنكم لا تضعون الشعب في حقيقة ما يجري عندكم، وطالما أنكم لا تضعون النقاط على الحروف في وصف حقيقة ما يجري، وطالما أنكم لا تصارحون المريض الذي هو الشعب بحقيقة مرضه ليسهل علاجه، وطالما أنكم لا تضعون إصبعكم على الجرح، ولن نعيد ما بيّناه لكم في مقالات سابقة على صفحات الحرمل مما نراه في كيف تورد الإبل ولكنكم لا تقرأون.

أيها السادة المؤتلفون: أنتم تحتاجون إلى تصويب المسار، فافعلوا ولا تبيعونا أوهاماً، ولا تحرثوا في الماء.

آن للربيع السوري أن يزهر مشروعاً

د. سماح هدايا

آذار يأتي بذاكرة الأمل والألم.. ذكرى ثورة الرّبيع السّوري والحرب المضادة لها...

ست سنوات مرّت منذ بدأت الثورة السوريّة. تغيّرت في المشهد أشياء كثيرة، واحتلّت المساحة صورة القتل والفوضى وعدم اليقين. الحرب زادت ضراوة واتخذت الإرهاب ذريعة، ومع ذلك ظلّت الثورة تقاوم، على الرغم من التّضحيات الكثيرة واتساع المؤامرات، وتأخر اكتمال المشروع الوطني.

منذ البداية كان واضحاً أنّ نجاح الثورة لن يكون سهلاً؛ فقد صنّفها عدوها ثورة ظلاميّة أخوانيّة ووهابيّة وعميلة للإمبريالية والصهيونيّة، ضد نظام علماني تقدمي ممانع للاستكبار الأمريكي، لكي يسحب منها شرعيتها الأخلاقيّة والحقوقيّة والوطنيّة. المفهوم هذا، اقتبست منه فئات محسوبة على المعارضة، أيضا، لتهاجم أطياف الثورة والمعارضة الأخرى. طبعاً، لم تسلم الثورة من اختراقات خطيرة بدعم وتمويل إقليمي، لتنفيذ مآرب سياسية، استغلت ظروف الظلم والقهر واستثمرت المظلومية والثأر لدعم ظهور تشكيلات سوريّة متشددة وجماعات متطرفة وعناصر أجنبيّة مشبوهة، أعطت نموذجاً متخلفاً إرهابيا للثورة لإشغال الناس به بدل الانشغال بإرهاب النظام وحلفائه وأعوانه.. ومع ذلك فالإرهاب صناعة احترافية تخصص بها النظام.

حتى الآن الثورة لم تتمكن من تمثيل نفسها ومشروعها وقيادتها بشكل سليم، فاستحوذت عليها المعارضة السياسية التقليديّة الأعرف بالعمل السياسي، وقامت بتمثيلها، فنقلت إليها ضعفها ومشاكلها وصراعاتها وولاءاتها، وزاد في الإشكالية دخول أطياف من النظام السابق إلى صفوف المعارضة وحراكها الثقافي، بعضها لم يتحرر من ارتباطه بالنظام أو بعقليته، فعجزت المعارضة عن احتواء المتناقضات والفوضى والغوغائية والعصبويات التي طافت على السطح من قاع مجتمع مقهور متخلّف، بل كانت جزءاً منها ولهثت بجشع وراء مصالحها الخاصة، مما أضعف الأداء الرمزي للثورة والمعارضة، وأفقدها كثيراً من شعبيتها ومصداقيتها وهزّ اليقين بمستقبل مشروعها التحرري. حتماً، لا يمكن إنكار أن مركز العطب الذي يحرّك بنى الفساد والتهديم هو النظام الطائفي المستبد للأسد ومنظومته، لكن لابد من الاعتراف بوجود ضياع واسع وتشوش في العمق الوطني والفكري للسوريين من سياسيين وغير سياسيين، يتحمل مسؤولية كبيرة في المأزق. رافق الثورة عمل مدعوم من قوى خارجيّة، لتكوين أجسام وتشكيلات معارضة سورية مختلفة سياسيّة وعسكريّة ومدنيّة، وظلّت التّشكيلات وحراكاتها، على الرغم من الأحداث الجسام والتطورات المصيرية والوجودية؛ أضعف من المطلوب، وتأخرت في رسم مشروع وطني يتفق عليه الجميع ويعمل كفريق في مقاومة النظام الإرهابي والقوى التي تحتل البلاد.... جرّبت العمل السلمي وجربت العمل العسكري؛ لكنّ هذه التجارب خضعت في جل أدائها للجهات المانحة، وبدت غالباً كردات فعل ارتجالية لا تخلو من انفعال أو عصبوية وانتهازية، وكان من السهولة أن تستغلها القوى الدوليّة وفق صالحها وتحرفها عن مسارها أو تشوّش عليها.

الحديث عن مراجعات ونقد أصبح يملأ دفّات المقالات والدراسات وصفحات الإعلام والمنصات المتكاثرة. وكلها تعيد الكلام نفسه في موضوع التوحّد والتشارك والتنظيم، والمأسسة والوطنيّة. والمراجعات ظلت لفظيّة، تسير في مسارب فرعية وسطحيّة بعيدا عن المسار الرئيس لمشكلة التنفيذ. فلم تتجمع مؤسساتيا وجماعيا وتعمل منهجيّا وفق مبادئ الثورة السورية. وكل يوم تنكشف حالات الارتخاء السياسي والهزال الفكري والاختراقات والارتباط بمنظومة النظام وحلفائه والغرف الدوليّة، والتخريب المقصود الذي مارسته بعض المنابر الاعلامية والمنصات الثقافيّة، التي تسيرها جهات استخباراتية باسم المعارضة والنظام والأقليات. لذلك فالحاجة للمراجعة يجب أن ترتبط بهدف وطني وباستراتيجيّة عمل ورؤية ذهنية للتفكير والتخطيط والتقييم، لا مراجعات شكلية وتكتيكيّة لتحصيل مصالح خاصة. هي مراجعات للفرد والجماعة وللذهنيّة.

أي مشروع لا يندمج على مبادئ الثورة (الحرية والكرامة)، ضمن آليات الديمقراطية والمواطنة العادلة، وإسقاط النظام ومنظومته، وتحقيق الاستقلال الوطني وتوحيد الأرض، سيكون مشروعا فئوياً؛ لا يحقق اندماجاً حيوياً عميقاً واستراتيجياً، بل هيمنة اتجاه على اتجاه، ويزيد في عقابيل كارثة القهر والاستبداد. ورغم اسوداد المشهد فإنّ في المخزون الجماهيري طاقة كبيرة وجدانيّة وأخلاقيّة بحاجة لمن يستثمرها في الخروج من انسداد الأفق، وتأسيس بنية تحتيّة للتعايش التوافقي وتشييد الهوية السوريّة كبناء لملاذ جماعي وخلاص جمعي. أما استمرار تغيير الواجهات السياسية وتفقيس كيانات وفق الظروف الجديدة، فسيزيد تعقيد الوضع خصوصاً بعد حالة الإحباط التي ألمّت بالجميع وتصاعدت بالاستياء الشعبي من عجز المعارضة السياسية عن قيادة العمل السياسي الحالي والاستراتيجي ووضع خطة عمل واقعية، تراعي اللحظة والشحنة العاطفية للجماهير ومصير العيش السوري المشترك.

المراجعة لا تكون في التحرّك من مسمى سياسي لمسمى جديد، وبالانتقال من تجمع لتجمع آخر، ولا تكون في إسقاط الآليّة الديمقراطية، بإقصاء المختلف أيديولوجيا وتوصيفه بالخصم، للاستئثار بالحق الوطني. لبّ المشروع الوطني هو عقليّة التشارك والتعاون، ويبدأ من الإيمان بحقوق الشعب وتعدّدية مشاربه.

المراجعة لعمل القوى السياسية والعسكرية والمدنيّة، في غاية الأهميّة، مراجعة منهجيّة لمنهج العمل وأهدافه وأليات تنفيذه. فلا حل سوى استمرار الثورة وتطوير أداءاتها لأنها هي الأبقى لضمان التغيير المنشود، على الرغم مما شاب الظروف من نكوص ويأس وعجز، وفي صلب ذلك ابتكار الحلول، لتجاوز الأخطاء الناجمة عن العملية المشوهة لتركيب أشكال المعارضة. وما عاد ينفع نقد وذم من دون تصوّر عملي مستقبلي واقعي. لم يرتكب الشعب خطأ بثورته من اجل الحريّة، بل كان بطلا؛ لكنّ الظروف السياسية والاجتماعيّة كانت في غاية الصعوبة. وعليه أن يسترد زمام المبادرة، ويستعيد الثقة بشرعيّة ثورته ونبالتها، حتى يتجاوز الفوضى والعنف والفساد والدمار.

الظّرف التاريخي خطير جداً، أكبر بكثير من مصلحة فئويّة وسلطة فوقيّة، وأبعد من جدالات شكليّة لعلماني وليبرالي وقومي من موروث واقع قديم قبل الثورة؛ لم يقم باستصلاح ما يناسب. نحن في خطر على وجودنا كشعب، وبقائنا كجغرافيا وسياسة، وحياتنا كأمة وتاريخ. التوحد على المبادئ الأساسية وهي حرية سوريا واستقلالها ووحدتها وبناء الديمقراطية والمواطنة العادلة، بعد إسقاط النظام الطاغي برموزه وقادته ومنظومته وميليشياته وميليشيات حلفائه ونيل الاستقلال، لبناء مشروع الدولة ولنهضة والتحديث، لم يعد مطلبا بل فرضا وأولويّة بقاء. وهذا لا يتحقق إلا بمواجهة النخبة الثقافية والسياسية التي لم تقطع علاقاتها البنيوية مع العولمة الاستعماريّة، ومحاربة قوى الرجعيّة التي تنسخ من سياق تدميري متخلّف، ثم بالتعاون والتآزر مع مختلف القوى الداخلية الفاعلة، التي تتأسس عليها الثورة وفق حرية سوريا وكرامة شعبها، بالتنسيق مع القوى الإقليميّة بما يخدم المصلحة السوريّة، ووعي حقيقة مشاريعها، لأن المصالح الحقيقية لا تكون بالتبعيّة ولا تكون بالانزواء عن العالم.

الخالة اليابانية

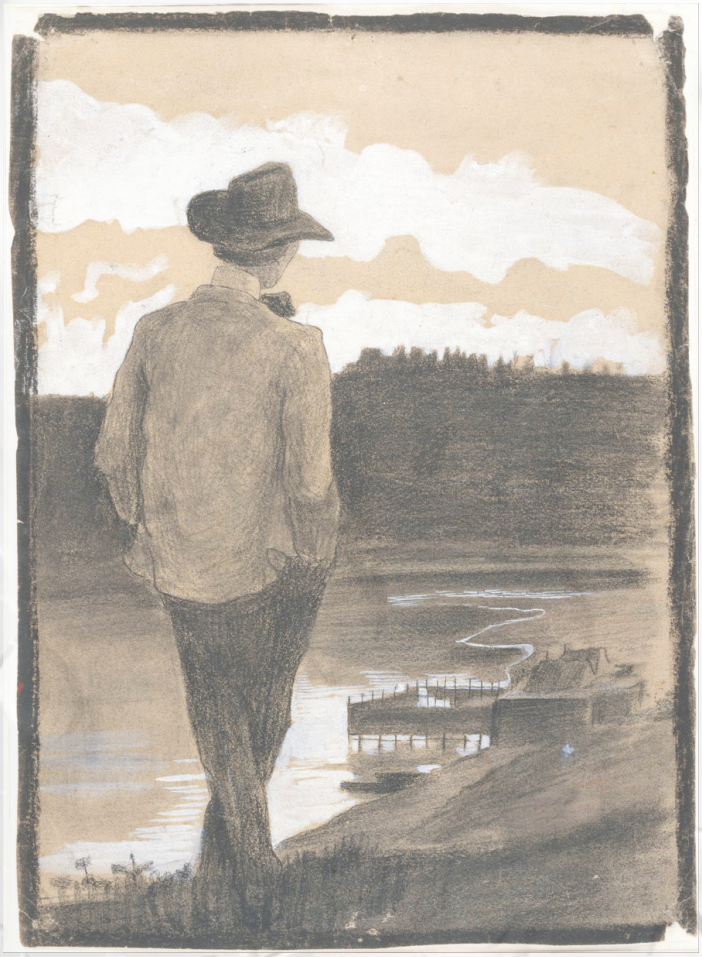

شريف صالح

عاد العم الطائش بعد غياب سنوات وهو يجر في يده زوجته اليابانية، فتندرت نساء العائلة على قصر قامتها، وحسدنها على نشاطها، فهي كانت نشيطة كالنحلة تستيقظ قبلهن وتنتهي من الواجبات المنزلية بسرعة وخفة ثم تجلس وتتزين. كانت لا تتكلم وهي تعمل ولا تتكلم وهي تتزين.. كأنها خرساء! فقط تأكل الأرز الأبيض والشيكولاتة وتنجب الأطفال لعمي.. وبعدما تتخفف من بطنها المكورة تدور في البيت مثل فراشة بملابسها الملونة.. فتثير هنا وهناك موجة عطرة.

رجال العائلة أيضاً استغربوا لأنها لم تذهب في يوم من الأيام إلى الطبيب، وقالت الجدة إنها امرأة ساحرة مسكونة بالشيطان. تعمل مثل الساعة لا تبكي ولا تتذمر ولا تتكلم! كانت الجدة تراقبها من بعيد بعين حذرة وكنا نحن أطفال العائلة نحب حركاتها الخفيفة وألوانها الزاهية كأنها طفلة مثلنا. وبعد أذان المغرب سمعت امرأة عمي الأكبر تقول لجدتي إنها عرفت اسم الساحر الذي تذهب إليه الخالة اليابانية.. هكذا كنا نناديها.. لوت جدتي شفتيها وقالت إنها منذ مجيئها وهي سبب الشقاء في عائلتنا.. لم أصدق جدتي ولا امرأة عمي التي انتبهت إلى أنني سمعت كلامهما فتوددت إليّ وطلبت مني أن أسرق ثوب «الكيمونو» الذي جاءت به الخالة اليابانية من بلدها. فقد كان لديها «كيمونو» أبيض رائع.. ومحفور به تطريزات زهرية ووردية غائرة.

هل «الكيمونو» الذي احتفظ بجماله رغم مرور السنين له علاقة بشقاء عائلتنا كما قالت جدتي؟!

في صباح اليوم التالي نادت علي امرأة عمي:

«نفذت المطلوب؟»

«تريدين أن أسرقه؟»

هزت رأسها.

«لماذا أسرق «كيمونو» الخالة اليابانية وهي لم تضايقني في أي يوم؟!

لكزتني امرأة عمي وهددتني بأنها سوف تكوي بلبلي بملعقة حامية إذا لم أفعل.

دخلت متلصصاً غرفة نوم الخالة اليابانية.. لا أدري أين كان عمي.. فمنذ أن جلبها إلى البيت، ونحن تقريباً لا نراه! شعرت بأقدام زوجة عمي الكبير، وجدتي، وهما تتسللان من خلفي.

وقفنا نحن الثلاثة حول فراش الخالة اليابانية ورأيت «الكيمونو» مفروداً بعناية بطول السرير. حملته الجدة وامرأة العم بلهفة ثم أسرعتا بمغادرة الغرفة، ولم تمر سوى دقائق حتى سمع كل من في البيت صرخة مدوية وصوت ارتطام في الشارع، فهرولت العائلة كلها في اتجاه الصوت.

كانت الجدة أول من هبط إلى الشارع، اقتربت بعكازها وقالت في نبرة شامتة: «ألم أقل لكم؟! ملعونة ومسكونة بالشيطان.. لم تصدقوا! الملعونة انتحرت!»

تطلعتُ بصعوبة من بين سيقان وأرجل أفراد العائلة ورأيت الخالة اليابانية ممددة وسط الشارع وخيط دم رقيق يسيل على طرف فمها الصغير وقد زمت شفتيها القرمزتين بقوة. ما لم أتوقعه أن جسدها المسجى كان ملفوفاً بكيمونو أبيض.

«1984» الرواية المستمرة
1

عندما تصبح اللغة وسيلة لإفساد التفكير
ترجمة بتصرف لـ «أحمد مولود الطيار» عن Study Mode

1984 رواية فاحصة في دولة توتاليتارية متخيلة. في هذا الواقع المستقبلي، العالم ينقسم -وبشكل كبير- بين ثلاث قوى عظمى: أوسينيا، أوراسيا وأستازيا. حيث الرواية تجري أحداثها، وبإسقاطات معقودة على الواقع الراهن بين أمريكا، والمملكة المتحدة بشكلها الإمبراطوري القديم، ومناطق أخرى من العالم.

تبدأ الرواية، وتتخذ من أوسينيا مكاناً لها، من الحرب التي تجري مع أوراسيا التي تُصوَّر على أنها الشر المطلق. أيضاً أوسينيا في حالة حرب داخلية مع حركة معارضة يقودها إيمانويل غولد شتاين الذي يُلعن يومياً على قدم المساواة مع أعداء الشعب. ونستون سميث وعمره تسعة وثلاثون عاماً يعيش في لندن، ويعمل في وزارة الحقيقة. كل الأسماء هي عكس ما تدعيه تماماً، والمناقض الكلي. فوزارة الحقيقة هذه متورطة ومشاركة في خلق الأكاذيب. كذلك هناك وزارة السلام، وهي الوزارة المسؤولة عن الحرب. أيضاً وزارة الحب حولت الدولة إلى دولة بوليسية وجعلت من التعذيب علماً قائماً بحد ذاته. أما وزارة الوفرة فهي المسؤولة عن الاقتصاد، وتعنى بضمان النقص المستمر في السلع الاستهلاكية الأساسية.

هذه التناقضات الظاهرة تنعكس في ثلاثة شعارات للحزب الحاكم الذي له السيطرة الكاملة على الحكومة والمجتمع. وهذه الشعارات: الحرب هي السلام، الحرية هي العبودية، والجهل هو القوة. وعقيدة الحزب تدعى زوراً اشتراكية، وهي مشتقة من الاشتراكية الإنكليزية، أيضاً عكس ما يفهمه القارئ المعاصر من المصطلح.

قائد الحزب يعرَّف بالأخ الأكبر حيث صوره الضخمة التي تركز على وجهه، وفي كل مكان من الدولة، وقد كتب تحتها التعليق التالي: (الأخ الأكبر يراقبك). وهو شخصية رمزية تماماً، ربما يكون على قيد الحياة أو متوفى أو هو ربما شخصية غير موجودة مطلقاً.

في الحزب نخبة صغيرة أو زمرة حلقتها ضيقة تعيش حياة مريحة ومهمتها المحافظة على بقاء الحزب، أما الأعضاء الآخرون، وهم مجموعة كبيرة جداً تؤدي أعمالاً روتينية وتعيش في محيط باهت بلا أي كماليات، وضمن الحدود الدنيا للراحة. أما الأغلبية العظمى من المجتمع فتعيش بالكامل خارج الحزب وتُدعى بالكادحين، وهم أعداد كبيرة جداً من الطبقة الدنيا.

ونستون سميث من الأعضاء الخارجيين للحزب، يقوم بأعمال روتينية في وزارة الحقيقة – قسم التسجيل، وعمله ضبط وتعديل وتدارك كل الأخبار والقصص المتعلقة بالأخ الأكبر، واستحضار خطاباته دائماً، إذ يجب تعديل كل تلك الأحداث وضبطها على ضوء خطاباته. وعلى سبيل المثال إذا كانت هناك معركة دامت أطول مما توقعه الأخ الأكبر في أحد خطاباته؛ فعلى ونستون تعديل الخطاب الأصلي بالعودة إلى الأرشيف واستخدام «اللغة المزدوجة»، عندها لن يلحظ أحد خطأ توقّع الأخ الأكبر، وتغدو كل الأحداث ضمن تلك اللغة مطابقة لكل ما يقوله وقاله الأخ الأكبر.

ونستون بارع في عمله، إنما ضمنياً هو يكره الحزب والأخ الأكبر. بدأ بكتابة يومياته وذكر كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالحزب والأخ الأكبر وكل الحياة العامة. ويعتبر ما يكتبه رسالة إلى المستقبل. كان يدرك أن يومياته في حال عثروا عليها، سترميه في السجن. فالحزب لن يتساهل في أي نوع من أنواع الاستقلالية أو التفكير المزدوج سواء جاء بالفعل أو بالنوايا.

ونستون وكل المواطنين في الدولة لديهم في بيوتهم وأماكن عملهم جهاز مثل التلفزيون اسمه الراصد، يراقبهم طوال الوقت، وهو حريص أثناء وجوده في منزله أن يحافظ على تعابير وجهه كيلا تكشفه، وعندها سيتهم بجريمة الوجه. ونستون لم يكن لديه أحد يشاركه ما يكتب في يومياته. هو يبحث بيأس عن شخص مثله يكره الحزب ليطلعه على يومياته.

خلال أحد الفصول التي كتبها وكانت بعنوان «دقيقتان كراهية»، وهو فصل يتحدث عن تنظيم طقوس دينية لإثارة معدل الكراهية ضد الأعداء. أثناء حضوره الإجباري لتلك الطقوس التي تقام يومياً في مبنى الوزارة اكتشف نظرة تعاطف وتقدير من أوبراين الضابط الداخلي للحزب. ونستون ومن خلال تلك النظرة الخاطفة التي لم تستمر سوى ثوان معدودة؛ تخيل أن أوبراين عضواً في المعارضة السرية المسماة «أخوية».

في تلك الفترة بدأ ونستون علاقة سرية مع

امرأة تدعى جوليا، لكنه في تلك الأثناء كان متزوجاً من امرأة تدعى كاثلين، وهي امرأة بلا حب أو عواطف، وهكذا زواج يعتبر عادياً في المجتمع الذي يحكمه الحزب والأخ الأكبر، حيث لا يشجعان العاطفة الجنسية استناداً إلى فلسفة تقوم على توجيه تلك الطاقة: الحب باتجاه الحزب، وطاقة الكراهية باتجاه الأعداء. الاختلاط بين أعضاء الحزب ممنوع منعاً باتاً ومحرّم، ومن يخرقه يتعرض إلى عقاب قاس.

جوليا تكره الحزب بقدر ما يكرهه ونستون رغم أن تمردها دافعه فردي جنسي، وقليل جداً سياسي. هي في السادسة والعشرين من عمرها، ولا ذاكرة لديها عن التاريخ قبل مجيء الحزب إلى السلطة. وهي وأقرانها لا يستطيعون تخيل الحياة من دون الحزب. أما ونستون فلديه ذاكرة غامضة عن فترة طفولته والوقت المضطرب الذي سبق صعود الحزب.

ونستون وجوليا كان عليهما بوضوح وحسمٍ أن يحافظا على علاقتهما سرياً. في البداية التقيا في قرية نائية، وفيما بعد استأجرا غرفة في منطقة شعبية فوق محل للتحف القديمة يديره عجوز لطيف. بدأا يلتقيان هناك كلما سمحت لهما الفرصة، حيث استطاعت جوليا في واحدة من المرات النادرة أن تحصل على بعض الشوكولا الفاخرة، وأن تتزين وتضع قليلاً من العطر في تحدٍّ واضحٍ إنما في الخفاء، لأن هكذا أشياء ممنوعة من قبل الحزب.

من خلال تلك اللقاءات المتقطعة والعشوائية بين أوبراين وونستون اعتقد الأخير -وبشكل لا لبس فيه- أن الضابط الداخلي للحزب هو عضو في حركة المعارضة والمقاومة السرية.

بعد ذلك الاعتقاد؛ بدأ وجوليا زيارات إلى بيت أوبراين الفاخر الذي يحتوي على كل المقتنيات والمأكولات الفاخرة، وهو يستطيع أن يغلق جهاز الرصد فترة من الوقت.

في واحدة من تلك الزيارات اعترف ونستون لأوبراين بكرهه للحزب. أما أوبراين فبدا لونستون أنه يشير إلى ارتباطه بـ«أخوية»، وأشار لهما بأنه سيساعدهما في الانضمام إلى تلك الحركة المعارضة. بعد فترة قصيرة أعطى أوبراين ونستون نسخة من كتاب غولد شتاين، وهو حول تاريخ الحزب، وكيف يحافظ على السيطرة الكاملة.

اتضح أن ونستون وجوليا قد وقعا في الفخ، والعجوز الذي يملك محل التحف القديمة واستأجرا منه الغرفة ما هو إلا مخبر في «شرطة الفكر»، والفخ الأكبر أن أوبراين استطاع أن يجعلهما يجرمان نفسيهما بنفسيهما.

اعتقل ونستون وجوليا بعد ذلك. جوليا وُضِعت في مكان، أما ونستون فقد وُضِع في وزارة الحب، وهناك ضُرب وأُهين وجُوِّع، وأطلقت عليه الفئران الجائعة. وفي زنزانته التقى بزملاء مثله، جرائمهم كلها تتعلق بجرائم الفكر أو التفكير.

استمرت حلقات التعذيب ضد ونستون بأوامر من أوبراين، حتى أنها لم تعد تحتمل، وكانت بجرعات فظيعة من الألم. أراد أوبراين تحطيم ونستون، ومن ثم إعادة تشكيل عقله من جديد.

كان يتحدث معه أثناء التعذيب قائلاً له إن الحزب يريد معالجته وتنظيف مخه، وإن الأحزاب السابقة كانت ترتكب خطأ عندما تحاول فقط قمع المعارض. الحزب حالياً لديه طرائق معدّلة للقضاء على المعارض وتفكيره معاً. يتابع أوبراين: الحزب لديه شيء واحد فقط، هو القوة، والله هو القوة، وهو وبقية أعضاء الحزب كهنة القوة.

في المرحلة الأخيرة من تعذيبه كان ونستون قد قطع وعداً على نفسه بألا يخون جوليا، وألا يعترف عليها بأي شيء، إنما هو الآن محطم ومكسور تماماً، ومستعد للقيام بأي شيء يطلبه منه الحزب. فلو سأله أوبراين مرة أخرى 2+2= 5 فالجواب قطعاً صحيح، وهو ما كان خطأ قبل اعتقاله. وأكثر من ذلك أنه تخلى عن كرهه للحزب، وأصبح يحب الأخ الأكبر.

الآن وبعد أن أصبح ونستون لا يشكل أي تهديد أو خطر، تمّ الإفراج عنه لفترة محدودة. أمضى أياماً قليلة يشرب الجن والقهوة ويتابع الأخبار عن الحرب. ونستون لم يعد ونستون، غُسل دماغه كاملاً. أراد الالتفات إلى جوليا، جلسا معاً، لكن كليهما كانا محطمين ويعرفان ذلك، وقد اعترفا أنهما خانا بعضهما وأفشيا كل أسرارهما إلى أوبراين. شرارة الإنسانية داخلهما ماتت. وافترقا.

لعنة العطش..!

«لا ماء يرويها» رواية جديدة للأديبة نجاة عبد الصمد

الحرمل ـ خاص

عن منشورات ضفاف في بيروت ومنشورات الاختلاف في الجزائر صدرت في آذار/ مارس 2017 رواية «لا ماء يرويها» للأديبة السورية نجاة عبد الصمد.

تحمل الرواية سيرة العطش في أرض السويداء البعليّة في أقصى جنوب سوريا، وتسير على مستويين: سطحُ الحكاية محمول على قصة حب ملتبسة وممتدة بين ناصر وحياة، بطليّ الرواية، العاشقين الخاسرين اللذين تمضي لعنةُ العطش بمصيريهما بعيداً عن صبوة الأحلام، إلى حيث لا تصل السهام مراميها أبداً.

ومحمول كذلك على رحلة البحث المضادة عن المياه الجوفيّة على متن الحفارات القادمة من الشمال السوريّ.

ثمة خطٌّ موازٍ يحفر في سيرة مجتمعٍ يحكمه الجفاف السياسي وتقاليد مجتمعيّةٍ شديدة الوطأة على حياة شخوص الرواية الذين يلوذون إلى فسحة التعليم والثقافة والفنون كبديلٍ عن فشلهم في مواجهة التصحّر السياسي والاجتماعي الذي انتهت إليه تيارات اليسار مع نهاية القرن العشرين.

يحضر المكان في رواية «لا ماء يرويها» كبطل إضافي في تحولاته، وفي التباس علاقة عمارة البازلت بساكنيها في قسوتهم ورقّتهم، في جفافهم وتوقهم إلى الماء في آنٍ معاً.

من جهة أخرى تضيف الرواية إضاءات مؤثّرة على عقائد مجتمع الدروز، وعلى عوالمهم الجوانية فيما يبدو أقرب إلى تشريحٍ أنثروبولوجي ممتزجٍ بالمرويات الشفاهية من الجدّات إلى البنات، وبالأساطير التي حاوطتْ تلك الجماعة بعد ارتحالها إلى جبل حوران.

تتنقل الرواية على خط زمني متتابع يمتدّ على مدى النصف الثاني من القرن العشرين، وبأصوات متعددة، أشبه بنشيجٍ خافتٍ ينفلتُ من جغرافيا الجنوب ليبثّ سيرة العطش بمعناه الأوسع، ويفتح نافذة يمكن التلصّص من خلالها على أكثر المجتمعات سرّانيةً في هذا الشرق.

تحتفي نجاة عبد الصمد بالبعد الإنساني كثيراً، وتغوص في نفوس المتعبين والمعذبين، في محاولة جادة لإنقاذ ما تبقى من إنسانية في الكون، خصوصاً ما جاء في مروياتها، التي تعتبر شهادة على زيف وتفاهة من يقودون البشرية إلى التهلكة، وشهادة أيضاً أن الحرب التي تأتي على الأخضر واليابس لا بد أن ينتج عنها حنان يؤسس لحرية قادمة، ولا يفوتنا بأن مروياتها تركت بصمة شديدة التأثير في المشهد الروائي السوري من خلال رصد معاناة السوريين في زمن الحرب العبثية، وعمق تأثيرها نابع من قدرة إضافية على الاحتفاء باللغة والأشخاص والأماكن، ولا يغيب عنها مبضع الجراح، الذي يعرف مواطن الألم الحقيقي.

الروائية السورية نجاة عبد الصمد، كما تداوي النفوس المتعبة، هي أيضاً طبيبة تعالج الأجساد المريضة، صدر لها رواية «بلاد المنافي» عام 2010 و«غورنيكات سورية» مرويات عام 2013 و«في حنان الحرب» مرويات عام 2015، ولها في مجال الترجمة عن اللغة الروسية العديد من الأعمال، منها: «مذكرات طبيب شاب» لميخائيل بولغاكوف، و«الجمال جسد وروح» لفاندا لاشنيفا، ولها أيضاً أبحاث ومقالات في مركز «المسبار للدراسات والنشر»، وتنشر في الصحف والمجلات السورية والعربية، ودأبت على الكتابة في صحيفة الحرمل منذ صدورها في العام 2014 إلى حينه.

مجلة الحرمل: ثقافية ــ سياسية ــ نصف شهرية ــ مستقلة

رئيس مجلس الإدارة: بسام البليبل – رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete

SAYI: 58 YIL: 3 (2017)

İMTİYAZ SAHİBİ: ŞÜKRÜ KIRBOĞA - EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED

BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 MOB: 00905393102133

FB.com/AlharmalJournal Twitter.com/AlharmalJournal Alharmal.journal@gmail.com Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa